

# الطفولة والتحديات التنموية في العراق

أ. د. عدنان ياسين مصطفى  
أستاذ علم اجتماع التنمية/ جامعة بغداد

بحث مقدم الى قسم الدراسات الاجتماعية ندوة الطفولة تشرين الثاني ٢٠١٥

## مقدمة

تشير السياسات الاجتماعية في جميع البلدان ان الوعي بإشراك واسهام الفئات الهشة لاسيما الطفولة تعزز خيارات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتساعد في التخفيف من الإقصاء الاجتماعي لتلك الفئات، إذ أظهرت كثير من المعطيات وجود تحديات خطيرة تهدد الامن الاجتماعي وتشعر تلك الفئات بان فرص اندماجهم في مجتمعاتهم تواجه اشكاليات واسعة.

في الوقت نفسه ما زالت الاهتمامات الاستراتيجية للبلدان المتقدمة والنامية تركز على التوصية بالاستثمار في الأطفال -محاولة التخفيف من حلقة الضعف- التي تشير دائماً الى أن الأطفال هم أكثر عرضة لخطر الفقر والاستبعاد الاجتماعي وانهم الحلقة الاضعف من بين فئات السكان في معظم الدول. وتؤكد التوصية ان فرص التدخل في وقت مبكر وتأمين الوقاية واتخاذ تدابير فعالة تكون أقل تكلفة من معالجة العواقب الناجمة عن الفقر والاستبعاد في وقت لاحق من حياة الطفولة.

لقد لخص ريتشاردسون عام ٢٠١٠<sup>١</sup> هذا المشهد بالتأكيد على ان "الاستثمار في الاطفال الصغار والفئات الهشة الاخرى نظام فعال وعادل: فالثغرات التي تواجه الأطفال تغلق في وقت مبكر كما ان أثمان تذليلها تكون زهيدة، فضلاً عن ان تلك الفجوات تجعل صانعي السياسات المستقبلية ودافعي الضرائب على درجة من الاطمئنان ولا يساورهم القلق على مستقبل أطفالهم.

ويشير اليونيسيف عام (٢٠١٢) بصدد الموضوع:

“الطفولة الامنة تجسد مطالب المجتمع المتحضر. ان الاستعدادات لتأمين الحماية المجتمعية لابد ان توفر أولاً للأطفال وان يكونوا أول المحميين بدلاً من تركهم عرضة لتقاذفهم امواج المجتمع العاتية. فالأطفال لديهم فرصة واحدة فقط في النمو الذي يجعل فرص تطوّرهم طبيعياً لذا يجب التمسك والالتزام بحمايتهم في السراء والضراء، كما يجب أن تكون تلك الفرص مطلقة”<sup>٢</sup>.

ان تلك المنطلقات يمكن ان تساعد على تحديد نوع المشاريع المطلوبة، ويهيئ للإجابة عن السؤال المتعلق بأوجه التكامل ما بين السياسات التنموية. ولعل من المهم والمفيد الاستشارة الى ان تلك المنطلقات ليست منقطعة عن بعضها، إذ ان مشكلات الطفولة مثلاً، لا تنفصل عن مجمل الأوضاع التعليمية والصحية والمعيشية للأسرة. كما ان وجود حالة من العوق او المرض المزمن يعني تأثيراً مباشراً على دخل الأسرة، وقد سجلت بالفعل معاملات ارتباط بين ظواهر عمل المرأة وبطالة الاب وتدهور مستويات المعيشة وبين العنف الاسري. كما ان للتفكك الاسري أثر كبير على ظواهر مثل التسول والتشرد وانحرافات الأطفال.

ومع ذلك، فإن استمرار الأزمات لمدة طويلة قد أثرت بعمق في العديد من مجالات السياسة العامة من خلال خفض في النفقات العامة للخدمات، وهي بلا شك مسارات تمثل خطراً حقيقياً على فرص التدخل المبكر ومنع تنفيذ السياسات والبرامج الخاصة بالأطفال، وهو ما قد يؤدي إلى مزيد من الإنفاق العام في المستقبل.

نحاول بهذا العرض الموجز سبر أغوار أهم الاشكاليات التنموية وانعكاسها على الطفولة العراقية، مع التركيز على التغييرات في حزم الحماية الاجتماعية وأبرز الأنشطة الحكومية التي تعزز سياسات الاستثمار في الأطفال، يلي ذلك مناقشة نظم الحماية الاجتماعية، بما في ذلك السياسات المخصصة للأطفال .

<sup>١</sup> -Richardson، D. ٢٠١٠. 'Child and family policies in a time of economic crisis.' **Child and Society**

٢٤: ٤٩٥-٥٠٨.

<sup>٢</sup> -UNICEF. ٢٠١٢. *Measuring child poverty: new league tables of child poverty in the world's rich countries*. Report Card ١٠, UNICEF Innocent Research Centre. As of ٢٩ March ٢٠١٤: [http://www.unicef-irc.org/publications/pdf/rc10\\_eng.pdf](http://www.unicef-irc.org/publications/pdf/rc10_eng.pdf).

## أولاً: تحليل واقع الطفولة:

ليس ثمة شك ان المجتمع العراقي مجتمع فتي، وهو أمر تترتب عليه مسؤوليات كبيرة ينبغي النهوض بها لحماية الطفولة وتهيئة مستلزمات مستقبلها بناءً على ما ينجز لها في الحاضر.

لقد صادق العراق على اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٩٤ وبذلك أصبح في موضع التزام دولي بجملة من الواجبات الإنسانية والأخلاقية التي تشك حقوقاً غير قابلة للتجزئة. إلا من ظروف العراق الكارثية، وطوال سنوات، من النزاعات والحصار وهدر الموارد جعلت الأطفال الضحية الأولى سواء في حاضرتهم وفي مستقبلهم.

### ١- التركيب العمري والجنسي للأطفال:

يُعرّف الطفل طبقاً لاتفاقية حقوق الطفل بكونه: كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه. وتلزم الاتفاقية الدول الأطراف بالامتناع عن أي نوع من أنواع التمييز ضد الأطفال<sup>٣</sup>. وطبقاً لبيانات الجهاز المركزي للإحصاء يتوزع الأطفال ديمغرافياً كما يأتي:

جدول (١) توزيع الأطفال بحسب خصائصهم العمرية والجنسية<sup>٤</sup>:

ت	الفئات العمرية	الذكور	الإناث	الإجمالي
١-	٤-٠	١٥%	١٤,٤%	١٤,٧%
٢-	٥-٩	١٤,٣%	١٣,٦%	١٣,٩%
٣-	١٠-١٤	١٢,٥%	١٢,٢%	١٢,٣%
٤-	١٥-١٩	١١,١%	١٠,٧%	١٠,٩%

لقد شهد التركيب العمري للسكان تغييراً في العقود الثلاثة الأخيرة وأهم ملامح هذا التغير نسبة الأطفال (الأفراد دون سن ١٥ سنة) بمقدار خمس نقاط مئوية بين عامي ١٩٧٧-١٩٩٧ وبمقدار عشر نقاط مئوية بين عامي ١٩٩٧-٢٠٠٧ لصالح تزايد نسبة السكان في سن العمل (١٥-٦٤ سنة). ومع ذلك فإن اتساع قاعدة الهرم تشير إلى السكاني ان اثنين من كل خمس أشخاص أي (٣٩,٨%) من سكان العراق هم دون سن الخامسة عشرة مقارنة بنصف هذا الرقم أو أقل في المجتمعات المتقدمة<sup>٥</sup>. وطبقاً لمسح عام ٢٠١٢ بلغ متوسط حجم الأسرة في العراق (٦,٧) فرداً. في الحضر (٦,٣) فرداً وفي الريف (٧,٨) فرداً ويشير التوزيع العمري للأفراد ان سكان العراق ما يزال فتيّاً حيث ان (٤١%) منهم أطفال دو سن الخامسة عشرة من العمر<sup>٦</sup>.

لقد واجه أطفال العراق معوقات حياتية جسيمة في بيئة ازدهمت بمصادر التهديد والخطر وأفضت إلى نتائج تنطوي على انتهاكات خطيرة لحقوق الطفل.

### ٢- الطفل والتعليم

<sup>٣</sup> - اتفاقية حقوق الطفل العالمية، ١٩٩٤، المادتان (١) و(٢).

<sup>٤</sup> - الجدول مستمد من: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مسح شبكة معرفة العراق، (٢٠١١)، الجدول رقم: (٤-١).

<sup>٥</sup> - اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، حالة سكان العراق لعام ٢٠١٠، شباط، ٢٠١١، ص ١٥.

<sup>٦</sup> - وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة في العراق، ٢٠١٢، ص ٣٨.

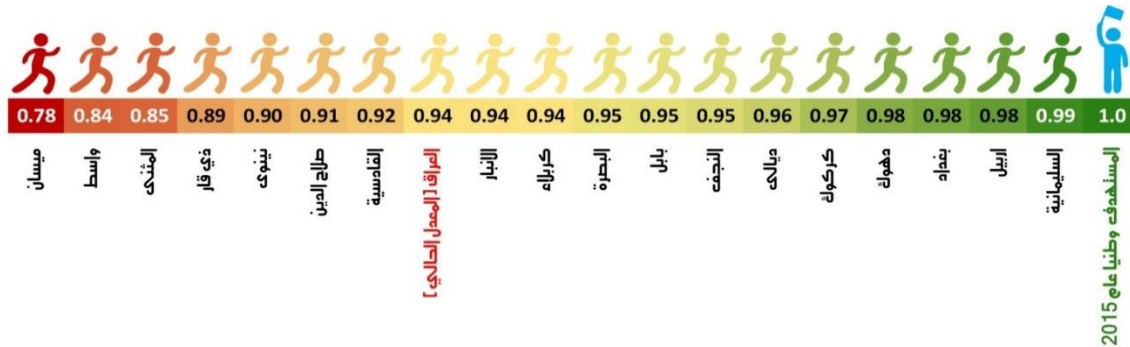
من المعلوم ان الهدف الثاني من أهداف الإنمائية للألفية هو: تحقيق تعميم التعليم الابتدائي بحلول عام ٢٠١٥، اما الهدف الثالث فهو تعزيز المساواة بين الجنسين ويتضمن غايات تتعلق بإزالة التفاوت بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي وفي موعد لا يتجاوز سنة الهدف المشار إليها.

أظهر المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة في العراق (IHSES/٢٠١٢) ان (٧٤,٤%) من الأفراد ممن تزيد أعمارهم على (١٠) سنوات يجيدون القراءة والكتابة، وبلغ معدل الالتحاق الصافي بالمرحلة الابتدائية (٨٧,٧%) وبالمرحلة المتوسطة (٤١,٨%) وبالمرحلة الإعدادية (٢٢%)<sup>٧</sup>. غير ان التفاوت يظهر واضحاً ما بين الذكور والإناث، إذ بلغ معدل التحاق البنين لعام: ٢٠١١ (٩٣,٢%) مقابل (٨٧,٤%) للإناث. ان أعلى معدل التحاق للجنسين سجل في محافظة السليمانية فيما سجل أدنى معدل التحاق في ميسان (٨٥,٦% للذكور، ٦٦,٤% للإناث) بفارق نسبي كبير يزيد قليلاً على (١٩) درجة.

## أ- فجوة النوع

تعرض النظام التعليمي في العراق لمخاطر وأضرار كبيرة على الرغم من ان العراق بدأ مسيرته لتطبيق مبدأ التعليم للجميع قبل عقدين من صدور الإعلان العالمي حول التعليم للجميع الذي أقره المؤتمر العالمي المنعقد في (جوميتان/ تايلاند) عام ١٩٩٠<sup>٨</sup>. غير ان سنوات الحروب، والحصار، والاحتلال، والإرهاب، أدت إلى حرمان آلاف الأطفال من حقوقهم التعليمية. ورغم ان ما يبدو ظاهراً من ارتفاع في موازنة التربية فإن نسبة عالية من الموازنة تنفق كرواتب فيما تتراجع الجهود الاستثمارية وتظل المشكلات الرئيسة تمارس تأثيرها السلبي على النظام التعليمي وفي مقدمة ذلك الأبنية المدرسية، فضلاً عن عوامل خارجية كال فقر، والهجرة، والتهميش القسري، وزواج الفتيات المبكر.

مؤشر (١) يبين نسبة التحاق البنات إلى البنين في مراحل التعليم الابتدائي حسب المحافظات<sup>٩</sup>

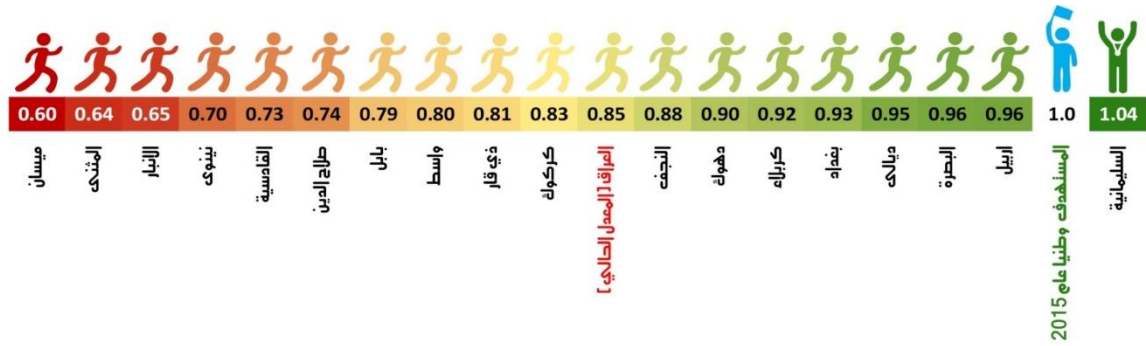


مؤشر (٢) يبين نسبة التحاق البنات إلى البنين في مرحلة التعليم الثانوي.

<sup>٧</sup> - المصدر السابق نفسه: ص ٤٧.

<sup>٨</sup> - جمعية الاقتصاديين العراقيين، تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٥، بغداد، ص ٤٨.

<sup>٩</sup> - وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة العراقية ٢٠١٢.



## ب- ارتفاع معدلات الامية:

وتعد فجوة النوع من أخطر التحديات تهدد الطفولة العراقية ومستقبلها، إذ على الرغم من ارتفاع معدلات الامية بين السكان العراقيين لكنها ترتفع أكثر بين الاناث. وقد أظهرت المسوح الحديثة، ارتفاع معدلات الامية بين الاناث، حيث تتفاوت وفقاً للفئات العمرية. إذ بينما تبلغ ١٦% للفئة العمرية (١٢-١٩) سنة، تتراوح بين الفئات العمرية ٢٠-٢٩ و ٣٠-٣٩ بين ٢٠% و ٢١%، ولكنها تصل الى ٦٦.٦% في الاعمار ٥٠ سنة فأكثر. أظهرت المعطيات الاحصائية تدني التحصيل العلمي لنساء العراق في الفئة العمرية ١٥-٥٤ سنة، إذ ان حوالي ٢٢% لا يستطيعن القراءة والكتابة، وان أكثر من ثلث النساء بقليل لم يتمكن أعلى من الابتدائية، وان حوالي ١٨% فقط من النساء في الفئة العمرية اعلاه اتممن الاعدادية أو أعلى. وبطبيعة الحال تزداد نسبة الامية مع ازدياد العمر.

## ج- التباين المكاني

ان من أهم معايير قياس نجاح النظام التعليمي هو نسبة انتقال التلاميذ من الصف إلى الصف التالي وتظهر البيانات الرسمية ان المحافظات العراقية حققت نسباً جيدة عام ٢٠١١. إذ بلغت (١٠٠%) في واسط ثم كربلاء (٩٨,١%). اما أقل النسب فكانت في ميسان (٨٥,٣%)<sup>١٠</sup>. ويلاحظ ان معدلات الالتحاق الصافي في التعليم الثانوي لم تتحسن كثيراً ولا سيما للإناث في الريف إذ بلغت نسبة الإناث في الريف (٢٥,١%) مقابل (٥٣,٩%) في الحضر، (٤٢,٩%) لإجمالي العراق فيما بلغت نسبة البنين في الريف (٤٤,٥%) مقابل (٥٧%) في الحضر، (٥٢,٢%) لإجمالي العراق بحسب المسح العنقودي متعدد المؤشرات (٢٠١١:٤-MICS)<sup>١١</sup>.

### جدول ( ١ ) يبين تفاوت نسب التحاق الاطفال على مستوى الحضر والريف

المؤشر	حضر	ريف
نسبة الالتحاق في التعليم الابتدائي	٩٠.١	٨٣.٦
نسبة الالتحاق في التعليم الثانوي	٢٦.٣	٢١.١

المصدر: وزارة التخطيط، نتائج المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة العراقية ٢٠١٢.

<sup>١٠</sup> - الجهاز المركزي للإحصاء، تقرير مؤشرات رصد الأهداف الإنمائية للألفية على مستوى المحافظات، شهر آب، ٢٠٠٩، ص ٩.

<sup>١١</sup> -وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المرأة والرجل في العراق: إحصاءات تنمية، ٢٠١٢، ص ١٤.

ولعل من المناسب الإشارة الى ان كثيراً الخطابات والافتراضات حول الطفولة والشباب والمرأة تستند في حقيقتها على القوالب النمطية بدلا من الشواهد والأدلة العلمية. وان كثيراً من وسائل الإعلام والنشاطات الأكاديمية الدولية المهتمة بالسياسات الخاصة بالطفولة تفصلهم كأفراد قائمين بذاتهم بصرف النظر عن أسرهم أو مسكنهم أو المجتمع الذي يعيشون فيه<sup>١٢</sup>. إذ يتم التركيز عادة على الاطفال الذين يواجهون خطر الفقر المدقع والحرمان، مثل أولئك الذين يعيشون في الشارع، والاتجار بهم في الأعمال الخطرة، أو المعرضين للصراعات المسلحة والهجرة القسرية. على صعيد آخر تميل وجهات النظر الخاصة بالأطفال عموماً الى وصفهم بأوصاف يغلب عليها طابع الاستخفاف أو التحقير. على سبيل المثال، الميل الى تصوير أطفال الشوارع في البلدان النامية على أنهم مجاميع من "الهاربين أو المشردين والمنحرفين".

بناءً على المؤشرات التي وفرتها المعطيات الإحصائية، وما توفرت من معلومات وانطباعات الواقع توصلت الدراسة الى نتيجة مهمة ان الأطفال يواجهون تحديات جسيمة مع وجود بيئة غير ملائمة تعيق من ممارسة هذا الدور. ويمكن تحديد أهم تلك المعوقات:

١- بيئة اقتصادية غير ملائمة للتنمية البشرية، وهي بمعنى أدق بيئة غير ملائمة للأطفال، إذ تفاعلت متغيرات المرحلة الانتقالية مع الاختلالات البنيوية للاقتصاد العراقي، فأوجدت عجز بنيوي، وتوالد متواصل للمشكلات. هذا الوضع يضعنا أمام حاجة حقيقية الى نموذج جديد للتنمية يكون التغيير المطلوب في البيئة الاقتصادية. إذ ماذا نفسر انتشار الفقر (حوالي ٢٠% من السكان) في بلد مثل العراق وهو من البلدان الغنية بموارده؛ وعمل الاطفال يستشري في جميع المناطق؟ وما معنى ان يكون هذا المعدل مرتفع في ظل موازنة اتحادية لم تكن مسبقة في تاريخ العراق. ان هذه الحقائق ربما تعود الى:

- استمرار المرحلة الانتقالية لأكثر من عشر سنوات، وهذا الامر يؤدي بلا شك الى استنزاف طاقات المجتمع وعدم استفادتهم من الفرص. فضلاً عن ان المرحلة الانتقالية مازال مجهولة التوجه.
- هناك تعثر في أنجاز التحولات المطلوبة، إذ انتكس هيكل الاقتصاد بشكل كبير، وظل النفط هو القطاع المهيمن، مع تراجع واسع في أهمية القطاعات الأخرى، وهذا الوضع ليس في صالح الطفولة والشباب.

٢- البيئة الاجتماعية: إذ ظلت البيئة الاجتماعية لأكثر من عقدين مأزومة تعاني من اختلالات بنيوية بسبب الإرهاب والعنف والتهديد الأمني والبطالة والامية فضلاً عن التفاوتات الموجودة في المجتمع والحراك الاجتماعي المزيف، وهذه بمجملها تخلق وضعاً لا يسمح باندماج المجتمع عموماً والأطفال خصوصاً.

تكمُن المشكلة الرئيسة لتمكين الاطفال في العراق في النظام التعليمي الذي يعد الساحة الأساسية لبناء قدرات الاطفال. النظام التعليمي أحياناً يفشل في ان يلعب دوراً في عملية التغيير والبناء، إذ لايزال الطفل العراقي يتلأ في طرح أرائهم بحرية لان المناهج وطرق التدريس لا تعلم الطالب على حرية التفكير، فهي تربية امتصاصية لا نقدية، تضخ المعلومات ولا تتيح لهم التفكير. وهذا النظام لا يصنع قادة.

من جانب آخر، يرتبط نظامنا التعليمي بالبناء الطبقي، إذ ان التعليم المجاني يوسع فرص تحقيق العدالة، غير ان التحول الى مساحة التعليم الأهلي الخاص والتي ترتفع كلفة الدراسة فيه الى حدود لا تتحملها معظم الاسر مما يضيق الفرص أمام الحراك الاجتماعي، وبالتالي تقليص فرص مشاركة واندماج الشباب.

### ٣- الطفل والصحة

كما تعرض النظام التعليمي لأضرار جسيمة كذلك كان الحال مع النظام الصحي، وقد انعكس ذلك على حياة كل العراقيين، وكانت الأمهات والأطفال في مقدمة من تحملوا كلفة تردي النظام الصحي، وقاية وعلاجاً. تضمن الهدف

<sup>١٢</sup> -Leonardi, C.. "Liberation or Capture: Youth in Between 'Hakuma', and 'Home' During Civil War and Its Aftermath in Southern Sudan." *African Affairs* ١٠٦(٤٢٤) ٢٠٠٧: ٣٩١-٤١٢.

الرابع من الأهداف الإنمائية للألفية تخفيض معدل وفيات الأطفال بنسبة الثلثين. واستكمل هذا الهدف، بالهدف الخامس المتضمن تحسن صحة الأمهات.

تتصل صحة الطفل في جانب مهم منها على الأوضاع التغذوية للأسرة. ولعل أول ملاحظة يمكن الإشارة إليها هي ان هناك حالة من عدم المساواة بين السكان طبقاً لمعيار الاستهلاك إذ اظهر مسح عن الأمن الغذائي ان غنى خمس من السكان يستهلك طاقة غذائية أكثر بحوالي (١,٩) مرة من الفئة الأفقر وهذه النسبة ارتفعت منذ عام ٢٠٠٧ حيث كانت حوالي (١,٧) مرة مما يشير إلى زيادة في عدم المساواة بين ٢٠٠٧-٢٠١١<sup>١٣</sup>.

في عام ٢٠٠٦ أظهر المسح العنقودي (MICS٣-٢٠٠٦) ان نسبة وفيات الأطفال دون سن الخامس بلغت (٤١) وفاة لكل (١٠٠) مولود حي على مستوى العراق ولم ينخفض هذا المعدل كثيراً عام (٢٠١١) إذ طبقاً لمسح (MICS-٤) بلغ (٣٧,٢) وفاة لكل (١٠٠٠) مولود حي. ومع ان بعض المحافظات حققت انخفاضاً ملحوظاً عما كان عليه المعدل عام ٢٠٠٦ إذ انخفض من (٧٠) إلى (٤٢,٣) وفاة في صلاح الدين. ولكن محافظة أخرى (كركوك) ارتفع فيها المعدل عام ٢٠١١ إلى أكثر من النصف.

من جانب آخر بلغ معدل وفيات الأطفال الرضع طبقاً لمسح (MICS-٣ ٢٠٠٦) (٣٥) وفاة لكل ألف مولود حي. وبالمقارنة مع نتائج (MICS-٤ ٢٠١١) فإن هذا المعدل لم ينخفض إلا بمقدار قليل ولكن هناك ما يقرب من تسع محافظات حققت تقدماً ملحوظاً بخفض المعدل مثل محافظة صلاح الدين، ومحافظة واسط، ومحافظة كربلاء، غير ان المعدل كان عالياً في محافظة كركوك (٤٤.١) وفي محافظة ديالى (٤٢.٤) وفاة<sup>١٤</sup>.

ان معدلات وفيات الأطفال ترتبط بمتغيرات عديدة منها صحة الأمهات والتلقيح، والرعاية أثناء الولادة، والولادة في مركز صحي وغير ذلك. ومن المعلوم ان تردي حالة النظام الصحي لم تكن وحدها عاملاً في ارتفاع معدل وفيات الأطفال، بل ان الوضع الأمني المتدهور ولا سيما خلال الأعوام الأخيرة لاسيما بعد التطورات الأخيرة في المشهد وسيطرة الجماعات المسلحة على عدد من المحافظات. إلى جانب الوعي الصحي للأسرة وأوضاعها الاقتصادية.

بلغت نسبة الولادات التي تمت من قبل أشخاص مؤهلين خلال السنتين السابقتين للمسح العنقودي (MICS-٤ ٢٠١١) (٨٩%) وترتفع هذه النسبة في الحضر إلى (٩٣%) تقابل (٨٢%) في الريف. وطبقاً لمؤشر الثروة فإن أسر النساء الغنية والأغنى ترتفع فيها نسبة الولادات على أيدي مؤهلين (٩٥%) بينما تنخفض غلى (٧٧%) لدى نساء الأسر الفقيرة. إلى جانب ذلك حصلت ثلاث ولادات من بين كل أربع ولادات أعلى في مستشفى أو مركز صحي خلال السنتين التي سبقت (MICS-٤ ٢٠١١). وان نسبة ولادات أعلى تمت في المستشفيات والمراكز الصحية لنساء المناطق الحضرية (٧٩%) مقابل أقل من (٦٧%) لنساء المناطق الريفية. كذلك فإن (٦٦%) من النساء غير المتعلّقات يلدن في مركز أو مستشفى مقابل (٨٢%) للنساء الحاصلات على شهادة المتوسطة فأعلى.

اتساقاً مع ما تقدم أظهرت نتائج (MICS-٤ ٢٠١١) ان (٧٠%) من الأطفال بعمر (١٢-٢٣) شهراً لديهم بطاقات صحية. وبلغت نسبة الأطفال (٢٣-١٢) شهراً الذين تلقوا لقاح ضد مرض السيل خلال الاثني عشر شهراً الأولى من عمرهم (٩١%) والذين تلقوا الجرعة الأولى من اللقاح الثلاثي (DPT) حوالي (٩٨٥%) غير ان نسبة التلقيح في الجرعة الثانية انخفضت إلى (٧٥%)<sup>١٥</sup>.

من جانب آخر أظهرت مؤشرات المسوح الحديثة تراجعاً نسبياً في الأوضاع الصحية للأطفال خلال السنوات ٢٠١٢-٢٠٠٦ وكالاتي:

المؤشر	عام ٢٠٠٦ MICS٣	عام ٢٠١١ MICS٤
(للأطفال دون سن ٥ سنوات)	%	%
سوء التغذية (نقص الوزن)	٧.٦	٨.٤

<sup>١٣</sup> - تراجع تفاصيل حول الأمن الغذائي، الجهاز المركزي للإحصاء وبرنامج الأغذية العالمي، الأمن الغذائي وظروف المعيشة والتحويلات الاجتماعية في العراق، بغداد، ٢٠١٢، ص ٢٠.

<sup>١٤</sup> -تقرير مؤشرات رصد الأهداف الإنمائية، مصدر سابق، ص ٢٩.

<sup>١٥</sup> - وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مراقبة أوضاع النساء والأطفال، العراق، المسح العنقودي متعدد المؤشرات، MICS-٤، ٢٠١٢، ص ٢٥ وما بعدها.

التقزم	٢١.٤	٢٢.٣
الهزال	٤.٨	٦.٩
الاسهال	١٣	١٤.٥
الرضاعة الطبيعية المطلقة بعمر اقل من ٦ أشهر	٢٥.١	١٨.٦

المصدر: وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣-٢٠١٧، فصل التنمية البشرية والاجتماعية.

إن صحة الطفل تتعلق على نحو مباشر بالنظام الصحي فيما يوفره من خدمات وقائية وعلاجية إلا إن الوضع الأمني يلقي بضلاله على مجمل الحياة الصحية للمواطنين كما ان تخصيصات وزارة الصحة الاتحادية في الموازنة العامة (٢٠٠٦-٢٠١٠) حيث انها لم تتخذ اتجاهاً تصاعدياً يتناسب مع نسبة النمو السكاني البالغة (٣%). لقد شكلت النفقات التشغيلية (٧,٦%) مقابل (٤,٧%) للنفقات الاستثمارية<sup>١٦</sup>. كذلك فإن انشغال المؤسسات الصحية بالآثار البشرية الناجمة عن العنف، والإرهاب، قد يكون سبباً وراء التغاض عن خدمات نوعية ضرورية للأطفال والأمهات.

لقد كان للاحتلال دوره في انتشار معينة كالسرطانات، إذ ظهرت ارتفاعات عالية في سرطان الثدي على وجه الخصوص إذ ارتفعت نسبة الحالات المسجلة من سرطان الصدر من مجموع السرطانات إلى (٣٦,١%) عام ٢٠٠٩ بعد ان كانت (٢٩,١%) عام ٢٠٠٤<sup>١٧</sup>.

ان من أهم عوامل الإصابة بالأمراض السرطانية هو اليورانيوم المنضب، والأسلحة المحرمة دولياً التي استخدمت في مناطق معينة في العراق، والتي نتج عنها - ومازال-تشوهات خلقية خطيرة.

## ثانياً: الطفولة والفقر

الفقر انتهاك فظ لحقوق الإنسان لأنه لا يقتصر على مجرد ضئيلة أو انعدام الدخل، بل هو أيضاً ظاهرة مركبة من الحرمان متعدد الأبعاد. وهو في العراق يُعبر عن مفارقة لافتة بين غني في الموارد ولا مساواة في التوزيع، ويمكن القول على نحوٍ من التعميم من أبناء الأسرة الفقيرة يعملون. وأنهم اقل تعليماً فضلاً عن كونهم أكثر عرضة للمخاطر الصحية، وللزواج المبكر، والتعرض للانحراف.

وليس من شك ان عبء فقر الأطفال يؤثر سلباً على قوة الاسرة الاقتصادية وامكاناتها في مواجهة التحديات، مما يزيد من احتمالات التسرب من المدارس فضلاً عن خفض قدرتها على تقديم الرعاية الصحية لأطفالهم، مما ينعكس سلباً على مستويات التوتر في حياة الاسرة وزيادة مخاطر وقوع الأطفال في براثن التهميش والاستغلال والإهمال. الى جانب المؤثرات التي تنعكس على النمو الاقتصادي الوطني وتقويض فرص التماسك والاندماج الاجتماعي.

ان اهم التحديات التنموية التي تواجه العراق اليوم وجود فوارق كبيرة في مستوى التنمية الاقتصادية ومعدلات الفقر، إذ باتت التباينات بين المحافظات واسعة وخطيرة، ففي عام ٢٠١٢ كان مستوى المعيشة في السليمانية (مقاساً بإنفاق الفرد الشهري) أكثر من ضعف المستوى الموجود في المحافظات الجنوبية في (المتن والقادسية وذي قار وميسان)، وقابل هذا التدرج الجغرافي الحاد في مستويات المعيشة بين المحافظات فروقاً كبيرة في معدلات الفقر حيث تخطى معدل الفقر في المحافظات الجنوبية ٤٠% ليلبغ أعلى معدل في محافظة المتن ٥٢%<sup>١٨</sup>. وهذا الامر أدى الى ارتفاع عدم المساواة بين المحافظات التي شهدت ارتفاعاً في معدلات الفقر، مما أربك المشهد التنموي وقوض فرص النمو في الحد من الفقر. إذ كانت المحافظات التي حققت أفضل أداء من حيث الحد من الفقر هي تلك المحافظات التي حققت نمواً اقتصادياً، وفي الوقت نفسه نجحت في الحد من إشكاليات عدم المساواة. والعكس شهدت المحافظات ارتفعت فيها معدلات الفقر ارتفاعاً في مستويات عدم المساواة، وبذلك شهدت تحديين متزامنين هما انخفاض معدل النمو

<sup>١٦</sup> -اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني في العراق، ٢٠١٢، ص ١٤١.

<sup>١٧</sup> - وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المرأة والرجل، مصدر سابق، ص ١٩.

<sup>١٨</sup> - د. مهدي محسن العلق، قياس فقر الأطفال في العراق، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي العاشر للدفاع عن حقوق الطفل، بغداد، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٤.



الاقتصادي وزيادة عدم المساواة<sup>١٩</sup>. وفي خضم هذه التداعيات يجد العنف العائلي دعماً في كثير من السياقات من الأعراف الاجتماعية، ويتحدث كل من الرجال والنساء عن الضغوط الاقتصادية وأدوار وعلاقات الجنسين المتغيرة كعوامل رئيسة للعنف المنزلي، الذي يعكس مباشرة على أوضاع الأطفال وخياراتهم ومستقبلهم<sup>٢٠</sup>.

ان المشكلة الأساسية في العراق تتجسد في تنامي نسبة الفقراء بين الأطفال، إذ في الوقت الذي يشكل فيه نسبة الفقر في العراق ١٩% من مجموع سكان العراق عام ٢٠١٢ (الذين يقل دخل الفرد الشهري ١٠٥.٥٠٠ دينار عراقي، وهو خط الفقر الوطني)، سجلت نسبة الفقراء من الأطفال ٥٨% من مجموع الفقراء، أي ان ١ من بين كل ٤ أطفال يعيشون دون خط الفقر<sup>٢١</sup>.

ان معطيات الواقع تظهر بما لا يقبل الشك ان الفئات الأكثر تضرراً من الفقر في العراق هم الأطفال، إذ ازداد الفقر المدقع بين الأطفال ليبلغ ضعف معدل البالغين. ويبلغ معدل الأطفال الذين يعيشون تحت خط الفقر الغذائي ١.٢% عام ٢٠١، وهو معدل يقارب ضعف مجموع المعدل للبالغين وكبار السن. هذه البيئة المتدهورة جعلت الأطفال أكثر عرضة لخطر الوقوع في براثن الفقر، ذلك ان خط الفقر-الذي يعرف انه احتمال الوقوع بالفقر- أعلى بنسبة ٢٥% بين الأطفال مقارنة مع اجمالي السكان عام ٢٠١٢. لقد ازداد خطر الفقر للأطفال منذ عام ٢٠٠٧ بنسبة ٨%، وبلغت أعلى نسبة خطورة في عام ٢٠١٢ للأطفال بعمر ٥-١٤ سنة<sup>٢٢</sup>.

لقد ارتفعت معدلات الفقر بوتائر تنذر بخطر محقق بعد أحداث حريزان ٢٠١٤ واستيلاء داعش على ثلاثة محافظات (نينوى وصلاح الدين والانبار) نجم عنها نزوح ملايين من السكان الى مختلف محافظات العراق وخارجه، فارتفعت معدلات الفقر والبطالة بمستويات مهددة للأمن الإنساني الامر الذي انعكس بشكل واضح على الطفولة العراقية ومستقبلها التنموي.

أما على صعيد العمل فقد بين المسح العنقودي متعدد المؤشرات (MICS٣) أن طفلاً واحداً من بين كل تسعة أطفال بعمر (٥-١٤) سنة أي (١١%) من مجموع أطفال هذه الفئة يعملون. ويعمل الذكور بنسبة أكبر من الإناث (١٢% مقابل ٩% على التوالي) وترتفع نسبة الأطفال في المناطق الريفية بالمقارنة المناطق الحضرية (١٨% مقابل ٦%). وطبقاً لمسح عام ٢٠١١ فإن الصورة قد تغيرت إلى حد ما. إذ ان طفلاً واحداً يشتغل من بين كل (١٤) طفلاً بعمر (٥-١٤) سنة أي (٧%) بانخفاض قدره (٤) درجات نسبة عن عام ٢٠٠٦. وتزداد نسبة اشتغال الأطفال في الريف إلى (١٠%) مقابل (٥%) في الحضر ويشغل الأولاد بنسبة أكبر من الإناث (٨% مقابل ٦%)<sup>٢٣</sup>.

على ان الموضوعية تقتضي الإشارة إلى ان كثيراً من الأطفال العاملين قد يمارسون هذا النشاط في إطار عائلي أو قرايبي. وان عملهم يشكل استراتيجية بقاء منوئة للفقر لكن ذلك لا ينفي حقيقة ان عملهم يشكل خطراً على مستقبلهم. وكان الإعلان العالمي لحقوق الطفل قد دعا لحماية الأطفال من الإساءة والاستغلال والعنف ولذا فإن من الضروري مراقبة عمل الأطفال بما في ذلك نوع العمل، وساعاته، وبيئته<sup>٢٤</sup>.

لقد كشفت كثير من الدراسات<sup>٢٥</sup> ان هناك صلة بين العيش في أسرة فقيرة ورفاه الطفل ومستوى نوعية الحياة بشكل عام، على الرغم من ان بعض الدراسات لا تظهر وجود ارتباط مباشر بين العاطلين عن العمل ومستوى رفاهية الطفل، ولكن تأثير البطالة على الأطفال بالغاً إذا نتج عنه تفاقم في مستوى الفقر أو الحرمان. وقد تكون الآثار أخف عند دفع الحكومة فوائداً للأسر في حالة فقدان العمل أو شمولهم بتسهيلات الضمان الاجتماعي. وفي هذه الحالة، فإن

<sup>١٩</sup>-المصدر السابق نفسه.

<sup>٢٠</sup>-البنك الدولي، أصوات الفقراء صيحة للتغيير، القاهرة: مركز الاهرام للترجمة، ط١، ٢٠٠٢، ص١٢٣.

<sup>٢١</sup>-د. مهدي العلاق، مصدر سابق.

<sup>٢٢</sup>-المصدر السابق نفسه.

<sup>٢٣</sup>- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج مسح ٤-MICS، مصدر سابق، ص٤١.

<sup>٢٤</sup>- يعرف عمل الأطفال أو اشتغال الطفل بأنه العمل الذي يزيد على الحد الأدنى من عدد ساعات الاشتغال اعتماداً على عمر الطفل، ونوع العمل ويعد الطفل الذي يتراوح عمره بين (٥-١١) سنة مشغولاً إذا مارس نشاطاً اقتصادياً لمدة ساعة على الأقل خلال الأسبوع السابق للمسح إذا مارس نشاطاً أو منزلياً اقتصادياً لمدة أقل من (٢٨) ساعة.

<sup>٢٥</sup>-Bradshaw, J., & Richardson, D. ٢٠٠٩. 'An index of child well-being in Europe.' Child Indicators Research ٢ (٣): ٣١٩-٥١.

فرض شروط صارمة من الفوائد يمكن أن يكون لها تأثيراً محدوداً على الأطفال لأنهم لا يتمتعون بتغطية شاملة من الفوائد أو الخدمات.<sup>٢٦</sup>

عموماً يبدو ان هناك أربعة تأثيرات مترابطة بعلاقات قرآنية تزيد بشكل كبير من تعرض الطفولة للهشاشة في جميع أنحاء العالم: الفقر وعدم المساواة والاستبعاد الاجتماعي والبيئات الخطرة.

**الأول:** ما يزال الفقر المطلق أحد أخطر التهديدات التي تواجه الطفولة في البلدان النامية.<sup>٢٧</sup> في الوقت نفسه يؤثر على أعداد كبيرة من الأطفال في البلدان ذات الدخل المرتفع . وعلى الرغم من ان الآثار التنموية غالباً ما تكون غير مباشرة، فان الفقر يرتبط بمجموعة من المخاطر المحددة، كسوء التغذية والبيئية والاكتظاظ. على سبيل المثال ترتبط حالات الاكتظاظ بعلاقات سلبية أقل استجابة على مستوى الأبوة والأمومة، فضلاً عن ان ضعف التواصل بين الوالدين والطفل يؤثر سلباً على التنمية المعرفية والنتائج الأكاديمية.<sup>٢٨</sup> كما يواجه الأطفال الذين يعيشون في البلدان المازومة والفقيرة أيضاً أنواعاً معينة من المخاطر، مثل الملاريا والتهاجر القسري المرتبط بالزراع المسلح.<sup>٢٩</sup>

**الثاني،** في معظم المجتمعات الانسانية، تتشكل حالة الفقر من خلال البنى السياسية والاقتصادية والمؤسسات والقيم التي دأبت على منح الامتياز لبعض فئات الأطفال وحرمت الآخرين منها، ينجم عنها لارتفاع مستويات اللامساواة بين الأفراد في الاستهلاك والدخل أو الأصول (اللامساواة العمودية كما يطلق عليها ستوارت)<sup>٣٠</sup>، والتي يمكن أن تكون عائقاً حاسماً أمام انتقال الأطفال الى مرحلة البلوغ، إذ تقيد الموارد والفرص عند أكثر الفئات تهميشاً أو حرماناً، على سبيل المثال، غالباً ما يقوض الفقر بشكل ملحوظ حالة احترام الذات.

**الثالث،** الكثير من الأطفال غالباً ما يكونوا عرضة للهشاشة ليس بسبب التباين في الموارد المادية الفردية أو المادية المطلقة، ولكن بسبب " انخفاض القيمة الثقافية للجماعات أو لفئات معينة من الناس في المجتمع بحكم كونهم ينتمون لفئة أو مجموعة عرقية أو ثقافية. وتأسيساً على ذلك تتعاظم ظروف غياب المساواة وبدرجة أكبر أو أقل مع وجود عيوب تستند إلى مجموعة السمات الثقافية المعززة لحالة غياب المساواة الأفقية، وهذه غالباً ما ترتبط بالعرق والطائفة واللغة والدين والجنس و / أو الإعاقة البدنية أو العقلية. هذه المجموعات توصم باستمرار مع الفئات والشرائح المستبعدة اجتماعياً والمحرومة اقتصادياً . كما تجد الفوارق الراسية في القيم الاجتماعية والثقافية تعبيراً لها في الديناميات داخل الأسرة، والمشاركة في المؤسسات، وممارسات الحياة المجتمعية والسياسية والاقتصادية. بعض الفوارق لدى بعض المجموعات، على سبيل المثال، القائمة على النوع الاجتماعي، تتعاظم بشكل واضح خلال فترة المراهقة عندما يبدأ الشباب بتولي أدوار تنموية ومسؤوليات تقوم على اساس النوع الاجتماعي في مرحلة البلوغ.

ولعل من المهم الإشارة الى ان كثيراً من حالات غياب المساواة الأفقية ومظاهر الاستبعاد الاجتماعي المرتبط بها يمكن أن يزيد بسبب طبيعة القيود المكانية المرتبطة بالموقع الريفي، مما يزيد من مشكلات تأمين خدمات عالية الجودة، والتعرض للتدهور البيئي وغيرها من المخاطر. في هذه الطريقة، تلتقي المشكلات الناجمة عن القيود المكانية، وحالات غياب المساواة الأفقية والعمودية جميعاً في حياة الكثير من الأطفال، مما يؤدي الى تقليص الخيارات المتاحة أمامهم لا سيما إذا كان الطفل او الفتاة، من مجموعة أو أقلية عرقية أو من الذين يعيشون في منطقة

<sup>٢٦</sup> -Richardson, D. ٢٠١٠. 'Child and family policies in a time of economic crisis.' *Child and Society* ٢٤: ٤٩٥-٥٠٨.

<sup>٢٧</sup> -Wachs, T. D., and A. Rahman.. "The Nature and Impact of Risk and Protective Influences on Children's Development in Low-Income Countries." In P. R. Britto, P. L. Engle and C. M. Super, eds., *Handbook of Early Childhood Development Research and Its Impact on Global Policy*. Oxford: Oxford University Press, ٢٠١٣.

<sup>٢٨</sup> -Wachs, T. D. , "Expanding our view of context: The bio-ecological environment and development." In R. Kail, ed., *Advances in Child Development and Behavior*, vol. ٣١: ٣٦٥-٤١١. New York: Academic Press, ٢٠٠٣.

<sup>٢٩</sup> -Wachs, T. D., and A. Rahman., Op cit.

<sup>٣٠</sup> -Stewart, F., "Horizontal Inequalities: A Neglected Dimension of Development." QEH Working Paper Series no. ٨١. Oxford: University of Oxford, ٢٠٠٢.

ريفة نائية. ونتيجة لذلك، تتجذر حالة الفقر والتهميش الاجتماعي وعلى نحو متزايد داخل الأسر والمجتمعات المحلية، وربما تتفاقم طول حياة الفرد وتنتقل عبر الأجيال<sup>٣١</sup>.

**الرابع:** تبقى البيئات الخطرة سبباً رئيساً لحالات ضعف الناس وتهميشهم. ان آثار التعرض المبكر لتلوث البيئة، بما في ذلك المياه غير المأمونة الشرب، وتلوث الهواء، وسوء الصرف الصحي والأمراض المعدية، يمكن أن تؤدي إلى عواقب وخيمة على المدى الطويل؛ فالأطفال الصغار هم أكثر عرضة للتأثيرات الفسيولوجية الناجمة عن التلوث. وتشمل المخاطر البيئية من تلوث الهواء إلى التعرض للرصاص والتلوث الضوضائي، إذ أظهرت الدراسات وجود صلة بين التنمية النفسية والاجتماعية والمعرفية والتعرض للضوضاء.

### ثالثاً: الأطفال في بيئة اجتماعية محفوفة بالمخاطر

ترافقت الثغرات البنيوية والثقافية في العراق مع سلسلة من الازمات المعقدة التي جعلت المجتمع بيئة تفتقر إلى الأمن الإنساني، وتسمح بظهور مشكلات أخرى على صعيد علاقات الناس ومصالحهم المشتركة وتصوراتهم لمستقبلهم. وتبدو الأسرة العراقية أنموذج لمؤسسة تقليدية تعرضت لمؤثرات الحداثة فبدت هجينة تتقاذفها تيارات التجديد والأصالة وتعرضها لفوضى الصراعات، وانكماش مصادر الرزق، وتعدد أسباب الحرمان، ما جعلها بيئة هشة معرضة للتفكك، وتراجع قدرتها على تحمل عبء مسؤولياتها ولا سيما تجاه أطفالها. ان ظواهر التشرذم، والأطفال الفاقدين، للأمن في الشوارع، إلى جانب الاتجار بالأطفال، وتزويج صغار الفتيات، أو الاتجار بهن. كل ذلك وغيره مما يشكل أرقاماً سوداء مجهولة، رغم أنها واضحة للعيان على مسرح الحياة اليومية. ويعد الجهاز المركزي للإحصاء سبع جماعات من الأطفال المهمشين هي: الأيتام، والمشردين بشكل عام. والأطفال المرتبطين بالجماعات المسلحة أو المتأثرين بالصراعات المسلحة، وأطفال الشوارع، والأطفال المعوقين، والأطفال المشغولين بأشكال وضيعة من العمل، والأطفال المصابين بالإيدز، والأطفال الخارجيين عن القانون، ان هذه الجماعات المهمشة تواجه في حياتها اليومية مستوى عال من الفقر وأشكال متعددة من الحرمان، وقد أصبحت هذه الجماعات تشكل نسبة مهمة من اللوحة الاجتماعية العراقية<sup>٣٢</sup>.

كان تقرير لبعثة الأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان في العراق عام ٢٠٠٦ قد بين ان أعداد الأطفال اليتامى والأرامل في زيادة مستمرة. وقد أكد مسح MICS-٤ هذه الحقيقة بإشارته إلى ان أعداد الأطفال اليتامى في العراق ازدادت نتيجة زيادة أعمال العنف والتهجير. ان (٥%) من الأطفال في الفئة العمرية (١٧-٠) سنة هم من الأيتام بعد وفاة أحد الأبوين. وان نسبة اليتامى (١٤-٠) سنة الذين فقدوا أحد الأبوين بلغت (٧%) وتتقارب النسب في الريف والحضر وبين الذكور والإناث. ان ما نسبته (٦٨%) من الأطفال اليتامى ما زالوا ملتحقين بالمدارس. مقابل (٨٢%) للأطفال غير اليتامى<sup>٣٣</sup>.

يمكن النظر إلى التفكك الأسري الناجم عن الطلاق أو وفاة أحد الأبوين أو كلاهما بوصفه البيئة التي تنمو فيها وتتعدد مشكلات الأطفال بدءاً من القلق وفقدان الإحساس بالأمان وصولاً إلى التشرذم وارتكاب أفعال تضعهم في حالة من النزاع مع القانون. وحين يكون الطفل مشرداً فان عواقب خطيرة تتجم عن ذلك. هذا إلى جانب ان أعداداً ليست قليلة تعرضوا للقتل<sup>٣٤</sup>.

من جانب آخر، فان معدل الإعاقة قد ارتفع جراء عمليات الإرهاب، والعنف، وكذلك من جراء تعرضهم -الأطفال- لملايين الألغام حيث تأثر ما مجموعه (١٥٧٩) مجتمعاً محلياً من الألغام وتم تسجيل (٥٦٥) ضحية كان (٩٨,١%)

<sup>٣١</sup> -Boyden, J., and G. Mann., "Children's Risk, Resilience and Coping in Extreme Situations." In M. Unga, ed., *Handbook for Working with Children and Youth: Pathways to Resilience Across Cultures and Contexts*. Thousand Oaks, California: Sage Publication, ٢٠٠٥. P. ١١.

<sup>٣٢</sup> -اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني، مصدر سابق، ص ١٧٢-ص ١٧٣.

<sup>٣٣</sup> -المصدر سابق، ص ٤٦-ص ٤٧.

<sup>٣٤</sup> -الأمم المتحدة، منظمة اليونيسيف، إيقاد شعلة الأمل في زمن الأزمات، دراسة تحليلية لوضع الطفل والمرأة في العراق، آب، ٢٠٠٧، ص ٦٣.

منهم من المدنيين، وثلاثهم من الأطفال دون سن (١٤) سنة<sup>٣٥</sup>. ومن المؤسف ان الأعداد الحقيقية لذوي الاحتياجات الخاصة غير متوفرة.

وبعد الأزمة التي عصفت بالبلاد في حزيران ٢٠١٢ وما رافقها من العمليات القتالية في وسط وشمال العراق، أضحت مصادر الحياة والاستقرار والبناء مهددة كما تفاقمت مشكلات استمرار النشاط الاقتصادي المدني والعمليات الانتاجية والتسويقية المرتبطة بها فأصبحت حياة ملايين العائلات في مفترق طرق وارتفعت مستويات البطالة وتراجع الأمن الوظيفي للأشخاص بعد ان تقطعت سبل الوصول للعمل واستلام رواتبهم. ان ظروف النزوح السريعة أثقل كاهل العوائل واستنفد مدخراتهم لاسيما بعد استمرار الازمة لشهور عديدة مع ارتفاع غير مسبوق في أسعار الاجارات مما زاد من حجم المعاناة والوقوع في براثن الفقر<sup>٣٦</sup>. كما أدت الزيادة في البطالة<sup>٣٧</sup> إلى "زيادات لا مفر منها في استحقاقات الرعاية الاجتماعية المرتبطة بالمستفيدين كإعانات النازحين والمساعدات الاجتماعية، في الوقت نفسه، أدى نقص الوظائف وبطيء الاجراءات الرسمية وغير الرسمية في مواجهة مخاطر التهجير القسري في كثير من المناطق الى تهديد مباشر وغير مباشر للطفولة وما ينجم عنها من اضطرابات ضغوط ما بعد الازمة Post-Traumatic Stress disorder لاسيما في العوائل التي لديها اطفال صغار، إذ تشير بعض الدراسات الدولية أن الاسر المكونة من أبوين مع اثنين من الاطفال ترتفع تكاليف معيشتها بمقدار ٤٠% مقارنة بالأسر بدون أطفال<sup>٣٨</sup>.

## رابعاً: أفق للمستقبل

أدت ظروف العنف، والإرهاب وفقدان السيطرة على عدد من المحافظات، وسوء إدارة الموارد الاقتصادية، وتردي أداء البنى التحتية، الى تشكيل بيئة مزدحمة بمصادر الخطر والتهديد المباشر أو غير المباشر، على الرغم من ان المعوقات الرئيسية للتنمية في العراق ليست طارئة بل هي تحديات بنيوية أسهمت الاحتكاكات السياسية والنزاعات الخاصة في تفاقم معدلات العرقلة لهذه الاتجاهات.

في المجتمعات التي تمر بمراحل التغيير من نظام سياسي أو اقتصادي الى آخر، يرافقها نشوء أجيال جديدة تتطور نتيجة هذه التفاعلات. وهنا يطرح السؤال الاتي: إذا أردنا التغيير ابتداءً، هل يتطلب منا تبني مشروع سياسي تنموي اجتماعي؟ والجواب هنا نعم لان هذا ما يمكن ان تحشد حوله الطاقات الواعدة. ذلك ان هناك متغيرات عالمية محفزة (كالتحول الديمقراطي المدعوم من المجتمع العالمي)، كما ان هناك وسائل اتصال تغذي عملية التغيير، فضلاً عن وجود متغيرات سياسية على الصعيد العربي (الربيع العربي)، والعالمي (العولمة التي تطرق باب كل المجتمعات) الى جانب المتغيرات على الصعيد المحلي. هذه الفجوة التي يشعر بها الطفل والشباب العراقي مع العالم المتقدم، هي بحد ذاتها عامل مهم في التغيير.

الأطفال في المراحل المتقدمة من العمر عموماً يمثلون الدينامية التي تنبثق من نظرتهم للمستقبل، إلا ان هؤلاء ارتباطهم بالماضي ضعيف، وهم مجموعات غير متجانسة أو متماثلة. عموماً في العراق هناك فئتان الأولى: مندمجة في المجتمع وتتمتع بالامتيازات المتوفرة -اجتماعياً وتعليمياً-ولديها طموح ببناء مستقبل أفضل. والثانية: أطفال ينتمون الى فئات مستبعدة أو مهمشة تكون في قاع المجتمع، تمارس مهناً هامشية، غير منخرطة في العمل السياسي،

<sup>٣٥</sup> - اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني، مصدر سابق، ص ١٧٤.

<sup>٣٦</sup> - أظهر المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة العراقية ٢٠١٢ ان حجم السكان ممن هم تحت خط الفقر يقدر بنحو ١٩% قبل العاشر من حزيران في عموم العراق، إلا ان بعض التقديرات تشير الى أن خط الفقر ربما ارتفع اليوم ليلامس نسبة لا تقل عن ٣٠% من سكان البلاد، ويعزز ذلك وجود مليون ونصف مهاجر من المحافظات موضوع الصراع مع الارهاب، مضافاً إليهم معاناة السكان المحليين أنفسهم ممن يواجهون الإرهاب بشتى الوسائل والذين انقطعت بهم سبل الحياة المدنية وأساسيات الحياة كافة، كخدمات المياه والصحة والدواء. أنظر: د. مظهر محمد صالح، ملامح الاقتصاد السياسي للصراع في العراق، <http://Iraqieconomist.net/ar/٢٠١٤/٧/١٣>

<sup>٣٧</sup> - ان مؤشرات البطالة الفعلية التي بلغت ١٢% قبل العاشر من حزيران قد ارتفعت اليوم وفق بعض التقديرات الأولية الى ٢٠%، او ربما أكثر بسبب توقف النشاط الاقتصادي في خمس محافظات تشكل اليوم مسرحاً للعمليات العسكرية. المصدر السابق نفسه.

<sup>٣٨</sup> - Barbara Janta, Marie-Louise Henham, Social protection during the economic crisis How do changes to benefits systems affect children? Rand Org. ٢٠١٤.

ولديها انطباع ان الدولة قد تخلت عنها ولا تدخلها في حساباتها. هؤلاء غالباً ما يكونوا محتجون متمردون، ولا يهم ضعيف أبنائهم يحملون بالهجرة الى الخارج. هذه الفئة مهدورة خسر المجتمع طاقاتها، ربما تكون البؤرة التي تنطلق منها الاحتجاجات الاجتماعية او من خلالها يحدث التغيير المطلوب.

ان نسبة لا يستهان بها من أبنائنا تلجأ الى عدم المشاركة والانسحاب من الحياة، وغالباً ما تنصرف الى عالم آخر، أحياناً: الى الدين كساحة للانتظار، أو أحياناً الى عالم افتراضي بلجوها الى المخدرات أو أحياناً الهجرة، وان كثيراً من المؤشرات تنذر بخطر داهم ناجم عن انسحابهم من المشاركة الفاعلة في العملية التنموية.

ثمة قضية تجدر الإشارة اليها ان التكوين البيولوجي والنفسي والاجتماعي للأطفال في المراحل المتقدمة يجعلهم أصحاب قدرة للتغيير، لذا فان الخيارات المستقبلية لابد أن تعول على هذه الشريحة. وإذا لم يمارسوا هذا الدور فالقصور ربما لا يعود إليهم، بل الى الحرمان الذي يعانون منه نتيجة احتكار الكبار لسلطة القرار، أو عجز الأنظمة عن تحديد طريق واضح للتنمية.

من كل ما تقدم يمكن القول ان هناك قصور واضح في البيئة التمكينية للطفولة. والسؤال الذي يطرح هنا أيضاً: هل من الاجدر ان يكون دورهم في التغيير كمجموعات منظمة أم ممارسات ومبادرات فردية؟ وهنا يمكن ان نتوقع بان تلعب التطورات في مجال الاندلاع المعرفي وتطور فضاءات العمل الافتراضي دوراً حاسماً يمكن ان يلعب فيها أدواراً غير تقليدية.

وفي السياق ذاته، كيف يمكن للدولة والمجتمع المدني ان تلعب دوراً لتمكين الاطفال لأداء أدوار تنموية تنسجم مع طبيعة المرحلة الانتقالية التي يمر بها العراق؟ المطلوب ان تترك الدولة والمجتمع المدني الاطفال بحرية تامة لتنفذ خياراتهم وتوفر لهم السبل الكفيلة بتحقيق الأهداف.

## ١- الخيارات والتدخلات:

ان تحليل التغييرات في البرامج والسياسات الخاصة بالطفل والأسرة التي تنفذها الدول خلال الأزمات يظهر تبني مجموعة متنوعة من الاستجابات لتعزيز فرص الامن الانساني وضمان رفاههم. وتشمل هذه التدخلات إدخال تخفيضات على الخدمات الاجتماعية وتأمين استمرارية تدفق المدفوعات، وإدخال تدابير التحفيز، والانتقال نحو سياسات أكثر نشاطاً وفاعلية.

وعلى الرغم من الزيادة في الإنفاق العام على الاستحقاقات العائلية كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي خلال السنوات الأخيرة، غير ان غالبية تلك التدابير لمعالجة تداعيات الأزمة لن تؤدي إلى انخفاض دائم في الاستثمار في الأطفال. من ناحية أخرى، ان كثير من تلك التدخلات كانت مرتبطة بأنواع معينة من الأسر، ممن تتراوح أعمارهم في سن الطفولة أو دخل الأسرة، مما يعني أن هذه التغييرات قد لا تشمل جميع الأسر بنفس النطاق. بالإضافة إلى ذلك، غالباً ما تشير المعطيات المتاحة الى توفير الدعم للأسر بغض النظر ما إذا كانت هذه التدابير والتدخلات في السياسة العامة جاءت لتلبية لطلب على الأسرة والدعم المتعلق بالأطفال. ومن المهم التأكيد على وضع الفوائد المتعلقة بالأطفال والأسرة ضمن السياق الأوسع للتغييرات في السياسات العامة، ذلك ان طيفاً واسعاً من التدابير ربما ينعكس تأثيره على الطفل ورفاه الأسرة.

ان اعطاء حافز جديد بتشجيع الاستثمار في السياسة العامة والخدمات ذلت الصلة بالطفولة من شأنه تحقيق تطور إيجابي، يساعد الأطفال والأسر على اغتنام فرص أفضل وتحقيق نتائج أسرع، كما يساعدهم على التخلص من مشكلات الفقر والحرمان. ان من الأهمية بمكان التأكيد على أن السياسات والبرامج في مرحلة ما بعد الأزمة تتركز على دعم جميع الأطفال والأسر للاستثمار والتدخل في وقت مبكر واتخاذ التدابير العملية لإسناد ومساعدة الأطفال في التخلص من ظروف الحرمان، ومن ثم الهروب من آفة الفقر والاستبعاد الاجتماعي في وقت لاحق من الحياة.

**باختصار يمكن القول:**

- ان استمرار غياب الاستقرار وعدم وجود تماسك سياسي أدت الى حالة اضطراب وفوضى وهدر لا تقود الى حالة وطنية معبرة.
- التغيير والمشاركة تتحقق عندما تتوفر البيئة التمكينية التي تساعد في بناء الدولة، وتقليص حالة الانقسام والتشطي والولاءات الفرعية.

**وعلى أية حال، يقتضي توفير الحماية الاجتماعية للأطفال في ظروف الازمات:**

#### • **احداث تغييرات في الاستحقاقات المتعلقة بالطفل خلال الأزمة**

ان توزيع تخصيصات الإنفاق العام تؤثر الأولويات لكافة لبرامج المنافع الاجتماعية (وتشمل هذه الحالة الفوائد المخصصة للطفل والأسرة). وعلى أية حال، فإن هذه المؤشرات لا تشير بشكل كافٍ لحزم الفوائد الخاصة. أحياناً. وهنا يمكننا القول ان المساعدات والمنافع الاجتماعية قد تكون كافية لتسهيل ديناميات واستمرارية الحياة في الظروف الطبيعية، غير انها تعرضت للتآكل بعد عام ١٩٩٠، وعلى امتداد العقدين الماضيين. وقدم عدد من العلماء تعريفاً لحزم إعانات الأطفال والتي تتكون من التحويلات النقدية والضريبية للطفل والمزايا والبدلات التي تقلل من المسؤولية الضريبية المباشرة للأطفال، والفوائد الاجتماعية المخصصة للإسكان التي تأخذ في الاعتبار وجود طفل واحد صغوراً. وليس ثمة شك ان حزم المنافع واجهت تحديات كبيرة في غير صالح الأطفال بعد الازمات التي عصفت في العراق في حزيران ٢٠١٤ حيث شرد مئات الالاف وارتفعت نسبة البطالة والفقر. "ولعل الخطورة تكمن في اتساع مساحة الفجوة بين حزمة منافع الأطفال وخط الفقر. وعلى أية حال، تظهر الأدلة المقدمة في كثير من البلدان أن زيادة الإنفاق يحدث فرقا في حياة الأطفال، ذلك لأن البلدان ذات المعدلات العالية في الإنفاق على الطفل غالباً ما يكون لديهم انخفاض في معدلات الفقر بشكل عام<sup>٣٩</sup>. وتأسيساً على ما تقدم تصبح قضية التغيير في استحقاقات الأطفال في ظروف الازمات أولوية ملحة لتأمين فرص الحماية الشاملة للأطفال من الوقوع في براثن الفقر والحرمان والتي ربما تجعلهم فريسة لكل ما هو ديمagogي يعدم بتحسين أوضاعهم.

#### • **توسيع حزم المساعدات الاجتماعية:**

من المهم أن نلاحظ أنه بغض النظر عن الفوائد التي تستهدف احتياجات الأطفال المباشرة، وهي بلا شك أوسع بكثير من مجموعة السياسات التي تؤدي بالنتيجة الى جملة من الفوائد التي يمكن أن تؤثر في مستوى الرفاه الشامل للطفل، على سبيل المثال، يتأثر الأطفال بالوضع الاقتصادي العام للأسرة، مثل طبيعة عمل والديهم، وظروف معيشتهم ومستوى المساعدة الاجتماعية المتاحة في أوقات الازمات. وقد لاحظ كثير من الباحثين في السنوات الأخيرة تعرض أبناء الأسر التي تعاني من مستويات العمل والمعيشية المنخفضة الى تأثيرات سلبية كبيرة معظمها بسبب عدم كفاية الحماية الاجتماعية. وهذا الحال يتطلب وقفة جدية لسبر أغوار عمليات الإنفاق الاجتماعي التي شهدت تغييرات واسعة مع تحديد أولويات السياسات الرامية إلى رفع مستويات العمالة والتخفيف من الجوانب السلبية في تدابير الحماية الاجتماعية.

**ان جميع المؤشرات آتفة الذكر ما زالت تظهر بأن الجهود ما زالت بطيئة وتحتاج إلى مزيد من الوقت لكي تعطي ثمارها، وهنا لابد من تكثيف الخطى بجهود حثيثة لتحسين أوضاع الأطفال في العراق عبر سلسلة من الاجراءات في مقدمتها:**

- الإسراع في تشريع السياسة الوطنية لحماية الطفل وترجمتها عبر استراتيجيات وطنية وبما يضمن توفير الأمن الإنساني له.
- تأسيس مجلس أعلى للطفولة يأخذ على عاتقه رسم السياسات الخاصة بالطفل ومتابعة الاستراتيجيات والبرامج ذات الصلة به.
- تواصل العمل لإصلاح الأنظمة الصحية والتعليمية.

<sup>٣٩</sup> -Richardson, Op Cit.

- العمل على إطلاق استراتيجية جديدة للتخفيف من الفقر في العراق، تترافق مع إطلاق خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣-٢٠١٧.
- تعزيز الجهد المؤسسي لهيئة رعاية الطفولة من خلال تأكيد استقلاليتها وتوسيع صلاحياتها وامكاناتها.

## ٢- توجهات لمزيد من البحوث:

تكمّن أهمية النتائج العلمية لهذه الدراسة التحليلية الحث لإجراء المزيد من التحليلات لوضع للطفولة العراقية وتطلعاتهم وطموحاتهم المستقبلية. ولعل الهدف الرئيس لمثل هذه التحليلات هو اقامة اللّثام عن الاوضاع التنموية للطفولة وسير أغوار أهم التحديات الي تواجه التنمية البشرية من أجل تطوير توصيات ومقترحات ترسم في ضوءها سياسات واقعية وعلمية لمعالجة هموم الاطفال، وبناء رأس المال البشري، وتحسين ظروف التعليم وبالتالي تحسين فرص نوعية الحياة.

في السنوات الأخيرة أنجز الجهاز المركزي للإحصاء بالتعاون مع المنظمات الدولية عدداً من المسوح والدراسات والمعروفة باسم المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة العراقية ٢٠١٢ ومسح شبكة معرفة العراق وغيرها، التي هدفت الى معالجة عدد من القضايا المهمة التي أثّرت في الدراسة الحالية، بما في ذلك تصورات عن اوضاع التعليم والصحة، والمرأة وفرص العمل والتمكين.

ولا تفوتنا الاشارة الى ان البحوث التكميلية القائمة على أساس الاستمرار في تقديم النتائج يمكن أن تأخذ أشكالاً متعددة وأن تركز بشكل أساس على السياسات التي تتبنى الحلول الممكنة. بالنسبة للأطفال الذكور وربما الاناث/ الشابات، هناك حاجة إلى مزيد من المعلومات حول المحددات الاجتماعية والمالية والأبوية التي تقف أمام الخيارات التعليمية والوظيفية على سبيل المثال، وهو ما تشير اليه الدراسة إلى أن الاناث الشابات المهتمات في التعليم والعمل تواجهن معوقات خارجية اجتماعية واقتصادية واسرية. أن المسوح أو المقابلات المتعمقة مع المراهقات الشابات ومع الوالدين يسلط الضوء على عوامل محددة كثيرة، كالمخاوف الناجمة عن الظروف الأمنية والتفاعل مع الرجال في ميدان التعليم والعمل والتي تحد من وصول المرأة الشابة إلى التعليم او العمل، والحاجة الى اتخاذ أنواع معينة من التدابير التي من شأنها أن تبديد هذه المخاوف. إذ يفتقر الاباء في كثير من الاحيان إلى الوعي بحقائق سوق العمل الحالي، واین تكمن الفرص لأطفالهم، بما في ذلك الفرص المتاحة الفتيات. ان معطيات الواقع تظهر ان هناك حاجة إلى مزيد من البحث لاستكشاف مواقف الاطفال والشباب والقيود المتعلقة بفرصهم في الحياة كالتعليم وقطاع العمل وريادة الأعمال، بهدف تحديد مزيج من السياسات، بما في ذلك التدابير الخاصة بالمشاريع الاقتصادية والتأمين الاجتماعي واستثمار الفرص المتاحة والتي من شأنها أن تؤدي إلى المزيد من الاندماج المجتمعي وبناء المهارات الموجهة نحو قطاعات محددة.

الأسلوب المنهجي الأمثل لدراسة هذه القضايا هو تبني استراتيجية تستخدم مناهج متعددة، تجمع بين المسح الكمي التمثيلي المنظم مع المقابلات النوعية المتعمقة على عينات فرعية صغيرة من الاطفال والاباء والأمهات في المسح. المسح الكمي ضروري لالتقاط صور التباين المكاني والاجتماعي في المعوقات والتصورات، مثلاً التباين بين أطفال الريف والحضر. فضلاً عن ان المقابلات النوعية، سوف تساعد في تحقيق فهم أعمق ودقة أكثر لهذه العوامل.